المقامة الفرضية للحريري
عرض وتحليل

أ. د/ نصيرة دهينة كلية العلوم الإسلامية /جامعة الجزائر-1-

مقدمة

المقامات فن من فنون الكتابة العربية ابتكره بديع الزمان الهمذاني، وهو نوع من القصص القصيرة التي تحفل بالحركة التمثيلية، ويدور الحوار فيها بين شخصين.

والمقامة هي حكاية تقال في مقام معين، وتشتمل على درر اللغة، وفرائد الأدب، والحكم، والأمثال، والأشعار النادرة التي تدل على سعة اطلاع، وعلو مقام على طريقة السجع.

وممن اشتهر بهذا الفن أبي محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري، صاحب "المقامات"، وهذا الكتاب يحتوي على مقامات أدبية بلغت خمسين مقامة.

والمقامات أنواع، وليست نوعا واحدا، وقد أتى الحريري في المقامة الخامسة عشر بلغز في علم الفرائض، ولذلك تعرف هذه المقامة بالمقامة الفرضية، وعند علماء الفرائض بالمسألة الحريرية.

وقد جرت عادة كثير من الفرضيين بذكر شيء من الألغاز في النسب والميراث، وكل ذلك من محاسن علم الفرائض، ورياضته، وأكثر الفرضيون من الألغاز، والمعاياة في الفرائض؛ لأنها كانت سمة مميزة للعصور السابقة، فكانوا يختبرون بها الذكاء، وقوة الذاكرة.

وكانت المسائل التي يتبارى القوم في حلها من المسائل النادرة الوقوع في الغالب، أو من عويص الفرائض الذي يكون للتورية فيه دور كبير.

أولا: صورة المسألة عند الحريري

المقامة الفرضية التي ذكرها الحريري [1] في مقاماته[2]، هي المقامة الخامسة عشر من مقاماته؛ لأجل هذا سميت الحريريةباسمه [3] وقد أتى الحريري فيها بنظم فائق وجواب رائق، وفيما يلي نذكر نص اللغز [4]:

أيها العالم الفقيه الذي فا ... ق ذكاء فما له من شبيه

أفتنا في قضية حاد عنها ... كل قاض وحار كل فقيه

(1) هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري الحريري ــ نسبة إلى عمل الحرير أو بيعه ــ كان أحد أئمة عصره في علوم اللغة، قرأ الفرائض والحساب على أبي الفضل الهمداني، وأبي حكيم الخبري، من تصانيفه "المقامات الحريرية"، و"درة الغواص في أوهام الخواص"، توفي سنة 516هـ.

انظر ترجمته في: البداية والنهاية لابن كثير (191/12)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (289/1)، اللباب في تهذيب الأنساب (255/1).

(2) مقامات الحريري: كتاب يحتوي على خمسين مقامة، وقد سماه مؤلفه "مقامات أبي زيد السروجي"، ألفه للخليفة المستظهر (487 ــ 512هـ)، وانتهى من تأليفه سنة 505هـ، وله شروح كثيرة؛ أهمها: شرح المطرزي (590هـ)، وشرح العكبري (616هـ)، وشرح الشريشي (619هـ)، وترجمت إلى الإنجليزية، والفرنسية، والتركية، والفارسية، وغيرها.

انظر: أدباء العرب في الأعصر العباسية بطرس البستاني (426/2 ــ 437)، كشف الظنون لحاجي خليفة (1787/2 ــ 1791)، هدية العارفين (827/1).

(3) انظر: بهجة البصر في شرح فرائض المختصر ص 48 ــ 49.

(4) الألغاز: جمع لغز، يقال ألغز في كلامه إذا عمى، وهذا النوع يقوي العقل عند التمرن، والفقهاء يسمونه ألغازا، وأهل الفرائض يسمونه معميات، واللغويون أحاجي، واللغز مثل المعمى إلا انه يجيء على طريقة السؤال.

انظر: التعريفات، الجرجاني ص(192)، الصحاح، الجوهري، مادة لغز (894/3).

رجل مات عن أخ مسلم حـــ ـــــر تقـــي مـــن أمـــه وأبيـــه
وله زوجة لها أيهـــا الحَبـــــ ـــــر أخ خـــالص بـــلا تمويـــه
فحوت فرضها وحاز أخوهـــا مـــا بقي بـــالإرث دون أخيـــه
فاشفنا بالجواب عمـــا ســـألنا فهو نص لا خلف يوجد فيـــه [1]

ونص الجواب:

قـــل لمـــن يلغـــز المســـائل إني كاشف ســـرها الـــذي تخفيـــه
إن ذا الميت الذي قـــدم الشـــر عُ أخا عِرسه علـــى ابـــن أبيـــه
رجل زوّج ابنَـــه عـــن رضـــاه بحمـــاة لـــــه ولا غـــرو فيـــه
ثم مات ابنه وقد علقـــت منْـــــ ـــه فجاءت بابن يسر ذويـــــه
فهـــو ابـــن ابنـــه بغـــير مـــراء وأخـــو عِرســـــه بـــلا تمويـــه
وابن الابـــن الصـــريح أدنى إلى الج ـــد وأَولَى بإرثـــه مـــن أخيـــه
فلذا حين مات أوجب للـــــزو جـــة ثمـــن التـــراث تســـتوفيه
وحوى ابن ابنه الذي هو في الأصـــــ ـــلِ أخوها مـــن أمهـــا باقيـــه
وتخلى الأخ الشـــقيق مـــن الإر ثِ وقلنـــا يكفيـــك أن تبكيـــه!
هاك مني الفتيـــا الـــتي يحتـــذيها كل قاض يقضي وكل فقيـــه [2]

(1) مقامات الحريري ص 130 ــ 131. وكتب الألغاز والأحاجي النحوية ص (53 ــ 54).
(2) مقامات الحريري ص 133 ــ 134. وانظر أيضا: الكنوز المالية في الفرائض الجلية للسلمان ص 165 ــ 167.

وقد أجاب على هذا اللغز –أيضا– الشيخ أبو سليمان المعولي الأفوي[1] فقال:

أيهـــا الســـائل هـــاكم شـــرح مـــا تســـأل فيـــه
ذاك للمـــــوروث ابـــــن مـــــع أخيـــــه وذويـــــه
نكـــــح الابـــــن بمهـــــر أم ضـــــيران أبيـــــه
ثم جاءتـــــه بـــــابن وزعـــاف المـــوت فيـــه
صـــار الابـــن أخاهـــا زوجـــة الجـــد النبيـــه
ومحـــال مـــا زعمـــتم أختـــه مـــن أبويـــه
لاك مـــن أم أخوهـــا دلنـــا الشـــرع عليـــه
ثم مات الجـد بعـد الـ ابـن عمـا يقتنيـه
فحـــوى المـــيراث منـــه ابـــن ابـــن دون أخيـــه
بعد ثمـن الضـير يحـوي الطفـل مـال أبي أبيـه
لـــيس للإخـــوة حـــظ مـــع وجـــود بـــني بنيـــه
فمـــن الإجمـــاع هـــذا مـــن فقيـــه وفقيـــه
لا بنص مثـل مـا قلـتم مـن كتـاب الله فيـه

(1) هو أبو سليمان محمد بن عامر بن راشد بن سعيد العدوي المعولي المطيعي الأفوي العماني ثم اليماني الإباضي، كان مخصصا في علم الفرائض، توفي سنة 1190هـ، من مصنفاته: المهذب وعين الأدب، والوصايا، انظر ترجمته في: مقدمة كتاب المهذب، بقلم عبد الله بن سلطان بن راشد المحروقي (36/1)

فخـــذوا مـــني جوابـــا كـــل قلـــب يشـــتهيه [1]

ثانيا: المناسبة التي قيلت فيها الحريرية

جلس عبد الملك بن مروان [2] يوما للمظالم، فقام رجل فقال له: إني تزوجـــت امرأة، وزوجت أمها ابني، فمر بعطائي.

فقال: لو على عكس هذا كان أولى، وإني أسألك عن مسألة فـــإن أحســـنت جوابها أمرت بعطائك، وإن لم تحسن جوابها لا أعطيك شيئا.

فقال: هات

فقال: إن ولد لك غلام، ولابنك غلام، فأي قرابة تكون بين الغلامين؟

فلم يحسن الرجل الجواب، وقال: سل القاضي الذي وليته ما وراء مجلسك، فإن أحسن القضاء فاصرف عطائي إليه، وإلا فأعذرني، فلم يحسن القاضي، ولا أحـــد من القوم إلا رجلا من آخر الصفوف، فقام فقال: إن أخبرتك تعطيني ما ذكـــرت للسائل؟

فقال له: نعم

فقال: إن ابن الأب عم ابن الابن وابن أخته، وابن الابن خال ابن الأب.

---

(1) المهذب وعين الأدب ــ تأليف محمد بن عامر بن راشد المعولي ــ تحقيق محمد علي الصليبي (344/2 ــ 345).

(2) هو أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي المدني ثم الدمشقي، كان طالب علم قبل الخلافة، ثم اشتغل بها، وعربت في عهده الدواوين، وضبطت الحروف بالنقط والحركات، تـــوفي ســـنة 86هـــ.

انظر ترجمته: تاريخ بغداد (389/10)، تهذيب الأسماء للنووي (309/1)، سير أعلام النبلاء (246/4)، طبقات الفقهاء (97/1).

وهذه الصورة هي مما يلقى في المعاياة: فيعايا بها على لسان الصغري: ((يا ابن أمي من أبوك أخو ولدي))[1]

ومما قيل في ذلك، وأجاد في قوله:

وقائلـــه أوص الغـــداة فإنـــــني أرى الموت قد حطت لديك ركائبـــه

فقلت وقـــد راع الفـــؤاد مقالهـــا وضاق بها خوف الخمـــام مذاهبـــه

لك الثمن إن حانت وفاتي فريضـــة وسائر ما يبقـــى فصـــنوك صـــاحبه

الجواب

تعلم فإن العلـــم أكـــبر ملـــبس لمن شـــرفت أخلاقـــه ومذاهبـــه

لك الثمن إن حانت وفاتي فريضـــة وسائر ما يبقـــى فصـــنوك صـــاحبه

حليلة هذا أمهـــا زوجـــة ابنـــه فـــذلك والألغـــاز جـــم عجائبـــه

فإن ابنه صـــنو لزوجتـــه ومـــن يقر بفضل العلـــم تعلـــو مراتبـــه

فميراثها ثمن وللصنو مـــا بقـــي كذاك يقضي من تعالت مناقبـــه[2]

وقال الشيخ أبو راس[3] بعد أن صور المسألة وذكر المناسبة التي قيلت فيها:

---

(1) انظر: الحلل الحريرية في شرح المقامات الحريرية لأبي راس (171/1/و) خ، والمبسوط للسرخسي (68/29).

(2) الأبيات ذكرها أبو راس في الحلل الحريرية في شرح المقامات الحريرية (171/1/و ــ ظ) خ.

(3) هو أبو راس محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد الراشدي الجليلي المعسكري المعـــروف بـــأبي راس، مؤرخ حافظ له مشاركة في الفقه والأدب والحديث وغير ذلك، من مؤلفاته "شرح المقامـــات الحريريـــة" وّشرح الحلل السندسية"، و"تخريج أحاديث دلائل الخيرات"، توفي سنة 1238هـــ.

((وهذه مسألة المصنف لا كما يوهمه كلام الشريشي [1] [2]))

ثالثا: صورة وحل المسألة عند علماء الفرائض: تذكر هذه المسألة في باب المعاياة[3] فيقال: زوجة ترث الثمن، ويرث أخوها ما بقي، ولا شيء لأخي الزوج، فيكون أخوها فرعا لزوجها، ومقدما على أخيه، إذ لا ينقلها إلى الثمن إلا فرع الزوج؟

الجواب: أنه يتصور بكون الأخ المذكور من أمها فقط، ولا مانع من كون أخيها لأمها فرعا لزوجها.

وتفصيل ذلك أن يقال: رجل وابنه، وامرأة وابنتها، تزوج الرجلُ البنتَ، والابنُ المرأةَ، فتزوج الكبير الصغرى، والصغير الكبرى، فمات الابن، وقد حملت الزوجة منه فأنجبت غلاما، فهو للرجل ابن ابنه، ولزوجته أخ لأم.

انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي (18/6)، تعريف الخلف برجال السلف للحفناوي (341/2 ــ 342)، معجم أعلام الجزائر لعادل نويهض ص 306 ــ 307.

(1) هو أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى بن عيسى القيسي الشريشي، من أهل شريش، أديب لغوي نحوي شاعر، ساد أهل زمانه واشتهر بين أقرانه، له ثلاث شروح للمقامات، شرح الإيضاح، وشرح عروض الشعر، وعلل القوافي، وشرح الجمل، وجمع مشاهير قصائد العرب، واختصر نوادر أبي علي القالي، توفي سنة 619هـ.

انظر ترجمته في: شجرة النور (176/1)، نفح الطيب للمقري (115/2).

(2) الحلل الحريرية في شرح المقامات الحريرية (171/1/ظ) خ.

(3) **المعاياة:** جمع معاية، والمعاياة أن تأتي بكلام لا يهتدى إليه فيكون بذلك معجزا وهي كالمناظرة، وأعياه الأمر أي أشكل عليه، ومنه عيي بالأمر وعن حجته يعيا من باب تعب عيّا، وعيي بالأمر لم يهتد لوجهه، وتقول إياك ومسائل المعاياة فإنها صعبة المعاناة.

انظر: أساس البلاغة، الزمخشري، مادة عيي، ص(433)، القاموس المحيط، الفيروزآبادي (370/4).

			8
زوجة	$\frac{1}{8}$		1
ابن ابن	ع		7
أخ	م		0

ثم مات الرجل وترك أخا، فورثت الزوجة فرضها وهو الثمن،

وأخذ أخوها من أمها الذي هو حفيد الميت من ابنه الباقي

ولا شيء لأخي الزوج؛ لأن الأخ لا يرث، فهو محجوب بابن الابن

والمسألة من ثمانية: للزوجة واحد، ولابن الابن سبعة.

رابعا: الألغاز والمعاياة بالحريرية

1 ــ رجل خلف أخاه، وأخا زوجته، فورثه أخو زوجته دون أخيه.

الجواب: هذا رجل تزوج امرأة، وزوّج ابنه أمها، فولدت حماته من ابنه ابنا، فهذا المولود هو ابن ابن هذا الرجل، وهو أخو زوجته، وهو أولى بماله من أخيه (1)

2 ــ وقد ذكر بعضهم لغزا في بيان نسبة ابن أحدهما لابن صاحبه:

السؤال: رجل له خال، وعم، فورثه الخال دون العم.

الجواب: هذا رجل تزوج امرأة، وتزوج أبوه ابنتها، فولد لكل منهما غلام، فولد الابن خال ابن الأب وابن أخيه.

وقد توفي ابن الأب، فترك عما وابن أخيه هذا الذي هو خاله فورثه خاله دون عمه. (2)

(1) انظر: أصول المواريث للوني ص 81، التهذيب في الفرائض ص 376.

(2) ووجه الإلغاز فيها إيهام أن الإرث من جهة كونه خالا، فيقتضي أن الخال مقدم على العم، وليس كذلك؛ لأنه الإرث من جهة كونه ابن أخ، ولا يخفى أن ابن الأخ مقدم على العم.

3 ــ قال البلبيسي[1] رحمه الله: وأنشد في هذه المسألة أبو بكر العلاف[2] رحمه الله، فقال:

أيها الفارضون ممن نسميه ... لمسترشد ومن لم نسمه
هل سمعتم بميت أو علمتم ... وجواب امرئ على قدر علمه
مات عن مسلمين عم وخال ... فحوى المال خاله دون عمه
قد سألتم فهل من مجيب ... مستحق لحمده دون ذمه
لا يعمّى الجواب حين يؤديه ... إلى ذي السؤال إذ لم نعمه
وإذا أفهم المجيب جوابا ... دل إفهامه على حسن فهمه
وشفاه من العمى بجواب ... كان أشفى من الدواء لسقمه
فاكشفوا ذا السؤال عنكم بشرح ... واعلموا أن همه كشف همه

وأجاب:

قل لمن جرد السؤال ومن ... أحسن في وصفه وتفصيل نظمه
قد رددنا الجواب فليتدبر ... ه حكيم بعقله وبعلمه
وحكمنا فيه بحكم عزيز ... ليس من شأننا تجاوز حكمه

(1) هو أبو البركات محمد بن محمد بن أبي بكر البلبيسي الفرضي، ولد سنة 841هـ بالقاهرة، تلقى علوم العربية، والفقه، والفرائض، والميقات، والمنطق، والقرآن، بالمدينة ومكة، وقد اشتهر بالفرائض والحساب. انظر ترجمته في: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي (60/9 ــ 61).

(2) لم أقف على ترجمته.

إن من خاله أحق من العم ... بميراثه وأولى بسهمه

رجل مات خلف ابن أخيه ... لأبيه وكان من أم أمه

فهو خال له وخلف عمًّا ... فمنعناه إرثه لا لظلمه

وحكمنا لخاله وتركنا ... عمه خاليا فباء بهمه

وإذا كان خاله ابن أخيه ... لأبيه ورّثْته دون عمه

وإذا مات ميت دون هذا ... فاستقيموا على الصواب ورسمه

فادفعوا ماله إلى ابن أخيه ... واتركوا عمه يموت بغمه (1)

وقيل في هذا أيضا:

فما خال حوى الميراث عفوا ... وعم الميت لم يأخذ فتيلا (2)

(1) انظر: شرح الترتيب (102/1 ــ 103)، العذب الفائض (287/2).

(2) انظر الذخيرة للقرافي (72/13)، شرح الأرجوزة التلمسانية للعصنوني (123/ظ) خ.

مصادر ومراجع البحث

❁أدباء العرب في الأعصر العباسية، حياتهم، آثارهم، نقد آثارهم لبطرس البستاني طبعة جديدة منقحة مشروحة مفهرسة، دار نظير عبود (دت ط).

❁أساس البلاغة تأليف محمود بن عمر الزمخشري (ت 538 هـ)، دار الفكر، 1399هـ –1979م.

❁أصول المواريث لأبي عبد الله الحسين بن محمد البوني (ت 450 هـ)، دراسة وتحليل الدكتور عبد العزيز بن محمد الزيد، ط1: 1408هـ –1988م.

❁الأعلام للرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 10: 1992م.

❁البداية والنهاية، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي (ت 774هـ)، مكتبة المعارف، بيروت، ط1: 1408هـ - 1988م.

❁بهجة البصر في شرح فرائض المختصر، كتاب في التركات والمواريث، لمحمد بن أحمد بنيس، تحقيق الدكتور محمد محدة، دار الهدى، عين مليلة الجزائر(دت ط).

❁تعريف الخلف برجال السلف تأليف أبي القاسم محمد الحفناوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2: 1405هـ - 1985م.

❁التعريفات للعلامة الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت 816هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3: 1408هـ- 1988م.

❁التهذيب في الفرائض تصنيف أبي الخطاب نجم الدين محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوذاني (ت 510 هـ) تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1419هـ – 1998م.

❁تهذيب الأسماء واللغات، للعلامة أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي (ت 676هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت (دت ط).

❁الذخيرة لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (ت 684هـ)، تحقيق محمد حجي، طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ حمدان بن راشد المكتوم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1: 1994م.

❁الحلل الحريرية في شرح المقامات الحريرية، لأبي راس المعسكري (ت 1238هـ)، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر، رقم 1894.

❁سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط10: 1414هـ – 1994م.

❁شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن مخلوف، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1: 1349هـ.

❁شرح الأرجوزة التلمسانية لأبي الحسن علي بن يحيى بن محمد بن صالح العصنوني، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر، رقم 871.

❁الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط 4: 1990م.

❁الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للإمام شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت 902هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت (دت ط).

❁طبقات الشافعية لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد تقي الدين بن قاضي شهبة الدمشقي (ت 851هـ)، اعتنى بتصحيحه وعلق عليه الدكتور الحافظ عبد العليم خان ، عالم الكتب، بيروت، ط 1: 1407هـ – 1987م.

❁طبقات الفقهاء لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي الشافعي (ت 476هـ)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ط 2: 1401هـ – 1981م.

❁العذب الفائض شرح عمدة الفارض للشيخ إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم الحنبلي، دار الفكر، بيروت، ط 2: 1414هـ-1993م.

❁فتح القريب المجيب بشرح كتاب الترتيب، تأليف الشيخ عبد الله الشنشوري الفرضي (ت 999هـ)، مكتبة النهضة الوطنية، الصفا، مكة المكرمة، (دت ط).

❁القاموس المحيط، للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الجيل(دت ط).

❁كتب الألغاز والأحاجي اللغوية وعلاقتها بأبواب النحو المختلفة، تأليف أحمد محمد الشيخ، الدار الجماهيرية، مصراتة، الجماهيرية الليبية، ط 2: 1397هـ-1992م.

❁الكنوز الملية في الفرائض الجلية، تأليف عبد العزيز المحمد السلمان، مطابع الرياض، (دت ط).

❁اللباب في تهذيب الأنساب، تأليف عز الدين بن الأثير الجزري (ت 630 هـ) دار صادر، بيروت، 1400هـ-1980م.

❁المبسوط: للإمام شمس الدين أبي بكر بن محمد بن أحمد بن أبي سهل

السرخسي (ت 491هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط 2.

۞معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، تأليف عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط 2: 1400هـ – 1980م.

۞مقامات الحريري، المقامة الفرضية وهي المقامة الخامسة عشر، تأليف القاسم بن علي بن محمد الحريري.

۞هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون لإسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ – 1992م.

۞نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ – 1968م.